


PHONOLOGICAL GROUNDING BETWEEN INSTRUMENT AND TONE: THE INTERROGATIVE HAMZA AS A CASE STUDY.

Om Alkhir Sidy Ahmed Mohammed 


Department of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Omar Al-Mukhtar, Libya

ABSTRACT

This research investigates the phenomenon of deleting the interrogative hamzah in Arabic from the perspective of phonological grounding, by analyzing the relationship between the grammatical tool and the prosodic cue (intonation) in achieving interrogative meaning. The research adopts a descriptive-analytical approach, drawing upon Tamman Hassan's theory of converging clues, and analyzes classical textual evidence where the interrogative hamzah is omitted, particularly the poetic examples of 'Umar ibn Abī Rabī'ah and al-Akhtal. The study concludes that intonation plays a fundamental role in transforming declarative sentences into interrogative ones, and that the hamzah can be dispensed with in positive assertive questions when intonation replaces it, whereas omission is impermissible in conceptual or affirmative-interrogative contexts. The research also clarifies the distinction between stress and intonation, emphasizing the importance of differentiating various intonational patterns to determine the permissibility of deletion. Ultimately, the study demonstrates that phonological grounding offers a more coherent scientific explanation of linguistic usage than the traditional grammatical framework of deletion and estimation, thereby opening new perspectives for re-examining syntactic phenomena through modern linguistics..

Keywords:- : Phonological Grounding, Intonation, Interrogative Hamzah, Stress, Converging Clues

التأصيل الصوتي بين الأداة والنغمة، همزة الاستفهام أنموذجاً.

أم الخير سيدي أحمد محمد. 

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، ليبيا.

الملخص

يدرس هذا البحث ظاهرة حذف همزة الاستفهام في العربية في ضوء التأصيل الصوتي، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين الأداة النحوية (همزة الاستفهام) والقرينة الصوتية (التنغيم) في تحقيق الدلالة الاستفهامية، اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من نظرية تضافر القرائن عند تمام حسان، وتحليل الشواهد التراثية التي ورد فيها حذف همزة الاستفهام، وتوصل البحث إلى أن التنغيم يؤدي وظيفة أساسية في تحويل الجملة الخبرية إلى استفهامية، وأنه يمكن الاستغناء عن الهمزة في الاستفهام التصديقي الموجب متى قامت النغمة مقامها، ولا يجوز ذلك في الاستفهام التصوري أو التقريري، كما بين البحث الفروق بين النبر والتنغيم، وأهمية التمييز بين الأنماط النغمية المختلفة في تحديد جواز الحذف، ويخلص البحث إلى أن التأصيل الصوتي يقدم تفسيراً علمياً أكثر اتساقاً مع طبيعة الاستعمال اللغوي من تفسير الحذف والتقدير الذي اعتمده النحاة، مما يفتح آفاقاً جديدة لدراسة الظواهر النحوية في ضوء اللسانيات الحديثة..

الكلمات المفتاحية : أداة الاستفهام، التأصيل الصوتي، التنغيم، الحذف، النبر، همزة الاستفهام، تضافر القرائن.

مقدمة البحث:

يُعدُّ الدرسُ الصوتيُّ من أهمِّ المداخل العلمية لفهم الظواهر اللغوية في العربية؛ إذ لم تعد دراسة اللغة مقتصرَةً على التحليل النحوي الصرفي فحسب، بل اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى الكشف عن البنية الصوتية العميقة التي تسهم في توجيه المعنى وتحديد الوظائف الدلالية والتداولية في الخطاب، وقد برز مفهوم (التأصيل الصوتي) بوصفه منهجاً علمياً يسعى إلى تفسير الظواهر اللغوية في ضوء النظام الصوتي للغة، وربطها بالوظائف النطقية الفعلية التي تتحقق في الاستعمال اللغوي.

ويقوم التأصيل الصوتي على تحليل الظواهر اللغوية انطلاقاً من الواقع الصوتي للكلام، أي من خلال ما يحدث في النطق الفعلي من نبر وتنغيم وتتابع صوتي، بدل الاقتصار على القياس النحوي المجرد، وأكد عدد من اللغويين المعاصرين أن دراسة اللغة ينبغي أن تبدأ من الصوت بوصفه الأساس الأول للبنية اللغوية، إذ يرى عبد الصبور شاهين أن المنهج الصوتي للبنية العربية يعتمد على دراسة الأصوات في سياقاتها الطبيعية، لا في صورتها النظرية المجردة (شاهين، 1980م)، والذي تراه الباحثة وتؤكد عليه في هذا المبحث هو أن التأصيل الصوتي هو ضرورة علمية ملحة لكشف طبقات اللغة العميقة التي حُجبت لزمن طويل، وبالإستعانة به يمكن تفسير عدة ظواهر عصبية. ويمكن في ضوء هذا التصور إعادة النظر في عدد من القضايا النحوية التي عالجها التراث اللغوي، ومنها ظاهرة حذف همزة الاستفهام؛ فقد تناولها النحاة في كتبهم، وخاصة في إطار الحذف والتقدير والضرورة الشعرية وأمن اللبس بينما يطرح التأصيل الصوتي تفسيراً آخر يقوم على أن الوظيفة الاستفهامية قد تتحقق عبر القرائن الصوتية، وعلى رأسها التنغيم، الذي يؤدي دوراً أساسياً في تحويل الجملة الخبرية إلى استفهامية. وعرض هذا البحث دراسة عن التأصيل الصوتي بين أداة الاستفهام (الهمزة) والنغمة، في الكشف عن العلاقة بين الأداة النحوية والقرينة الصوتية في تحقيق معنى الاستفهام، وبيان ما إذا كان التنغيم يمكن أن يؤدي وظيفة الأداة، أو يحل محلها في بعض السياقات اللغوية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في وجود تباين واضح بين ما ذهب إليه النحاة لظاهرة حذف همزة الاستفهام في الكلام العربي المنظوم والمنثور، وبين تفسير الدراسات الصوتية الحديثة لهذه الظاهرة؛ إذ ذهب النحاة إلى أن حذف الهمزة لا يكون إلاً بشروط معينة، كوجود قرينة لفظية أو وقوع الحذف في الشعر أو أمن اللبس، بينما ترى الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن التنغيم الاستفهامي يؤدي وظيفة الأداة نفسها، مما يطرح تساؤلاً حول مدى كفاية الأداة النحوية في تحقيق معنى الاستفهام ومدى إمكانية الاستغناء عنها في ضوء القرائن الصوتية. ومن ثم يسعى هذا البحث إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال تحليل الظاهرة في ضوء التأصيل الصوتي ونظرية تضافر القرائن، وربط ذلك بالشواهد الماثورة عن العرب المحتج بلغتهم، والدراسات الصوتية المعاصرة.

تساؤلات البحث:

ومن أهمّ التساؤلات التي سيجيب عليها هذا البحث:

1. ما مفهوم التأصيل الصوتي في الدرس اللغوي الحديث، وما أسسه النظرية؟
2. ما العلاقة بين الأداة النحوية (همزة الاستفهام) والقرينة الصوتية (التنغيم) في تحقيق معنى الاستفهام؟
3. هل يمكن أن يؤدي التنغيم وظيفة الاستفهام في غياب الأداة؟
4. ما حدود حذف همزة الاستفهام في العربية في ضوء التحليل الصوتي الحديث؟
5. كيف يمكن تفسير الشواهد التراثية التي ورد فيها حذف همزة الاستفهام في ضوء التأصيل الصوتي؟

أهداف البحث:

الكشف عن دور التأصيل الصوتي في تفسير ظاهرة حذف همزة الاستفهام، وبيان العلاقة بين الأداة النحوية والنغمة الصوتية في تحقيق الدلالة الاستفهامية.

كذلك بيان مفهوم التأصيل الصوتي وأصوله في الدراسات اللغوية الحديثة، توضيح الفرق بين التأصيل الصوتي والقياس النحوي في تفسير الظواهر اللغوية، وتحليل دور النبر والتنغيم في تحقيق معنى الاستفهام في العربية.

وكذلك دراسة الشواهد التراثية التي ورد فيها حذف همزة الاستفهام وتحليلها صوتياً، وتحديد الحالات التي يمكن فيها الاستغناء عن همزة الاستفهام، والحالات التي يتعذر فيها ذلك.

أهمية البحث:

يسهم هذا البحث في إعادة قراءة إحدى القضايا النحوية التراثية في ضوء علم الأصوات الحديث، وذلك من خلال إبراز دور القرائن الصوتية في تفسير الظواهر اللغوية. كما يقدم البحث إسهاماً علمياً في الربط بين الدراسات اللغوية التراثية والدراسات اللسانية المعاصرة، بما يعزز الفهم العلمي المتكامل لبنية اللغة العربية.

ومن المتوقع أن يفيد هذا البحث عدداً من الفئات، منها:

الباحثون في مجالات اللسانيات عامة، والعربية خاصة، وعلم الأصوات، وطلاب الدراسات العليا في اللغة العربية، والمتخصصون في النحو العربي والدراسات اللسانية الحديثة، والمهتمون بتطوير مناهج تعليم العربية في ضوء التحليل الصوتي.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع لعدد من الأسباب العلمية، من أهمها:

1. أهمية ظاهرة الاستفهام في البنية اللغوية العربية.
2. كثرة الشواهد التراثية التي ورد فيها حذف همزة الاستفهام واختلاف النحاة في تفسيرها.
3. الحاجة إلى توظيف علم الأصوات الحديث في تفسير بعض القضايا النحوية.
4. ندرة الدراسات التي تناولت الظاهرة من منظور التأصيل الصوتي.
5. الرغبة في الربط بين التراث اللغوي العربي والدراسات اللسانية المعاصرة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال:

- وصف الظاهرة اللغوية محل الدراسة، وتحليلها في ضوء علم الأصوات الحديث.
- دراسة الشواهد التراثية وتحليلها صوتياً ودلالياً.
- المقارنة بين تفسير النحاة المتقدمين والتفسير الصوتي المعاصر.

كما اعتمد على المنهج المقارن في بعض المواضع؛ للموازنة بين التحليل النحوي والتحليل الصوتي للظاهرة.

حدود البحث:

يتناول البحث الظاهرة في إطار الدراسات اللغوية التراثية والحديثة دون التقييد بفترة زمنية محددة، مع التركيز على المصادر الأساسية في النحو وعلم الأصوات.

ومن الناحية المكانية فطبيعة البحث لا تقتضي تحديداً مكانياً أو زمانياً، أما الحدود الموضوعية، فقد انحصرت في دراسة التأصيل الصوتي لظاهرة حذف همزة الاستفهام وعلاقتها بالتنغيم والنبر في العربية.

مصطلحات البحث:

عرض البحث عددًا من المصطلحات التي تم تفصيلها وبيانها في موضعها، من أبرزها:

- التأصيل الصوتي:

وهو منهج علمي يُعنى بردّ الظواهر اللغوية إلى أصولها الصوتية الطبيعية، بتحليل وظائفها النطقية (كالنبر والتنغيم) في سياقاتها الفعلية، بدل الاقتصار على القياس النحوي المجرد. فهو يدرس الكلام الحي لا المكتوب.

- النبر:

ظاهرة صوتية فوق تركيبية تعني إبراز مقطع لفظي واحد من الكلمة بزيادة في الشدة أو الوضوح السمعي، مما يُسهّم في تمييز المعنى المعجمي أو النحوي للكلمة.

- التنغيم:

تغيّر درجة الصوت في أثناء الكلام، ويؤدي دورًا مهمًا في تحديد نوع الجملة، مثل التمييز بين الخبر

- الظاهرة الصوتية الكلية التي تُعنى بتغيّرات درجة الصوت (حدّته وانخفاضه) وامتداده على مستوى الجملة أو العبارة، حاملاً وظائف تركيبية ودلالية كميّة للتمييز بين الخبر والاستفهام والأمر والتعجب وغيرها، وذكر تمام حسان أنه "الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق" (حسان، 2006م: 226).

الدراسات السابقة:

تناولت عدد من الدراسات ظاهرة الاستفهام أو الجوانب الصوتية في اللغة العربية، من أبرزها:

1. دراسة عبد الصبور شاهين حول المنهج الصوتي للبنية العربية، التي أكدت أهمية تحليل الظواهر اللغوية في ضوء النظام الصوتي للغة.

2. تناول تمام حسان دور القرائن المتضافرة في تفسير المعنى اللغوي، وأبرز أهمية التنغيم بوصفه إطارًا صوتيًا للجملة.

3. اهتمت بعض الدراسات الصوتية الحديثة، مثل دراسة سمير ستيتية، بتحليل الأنماط التركيبية للجمل الاستفهامية وبيان دور التنغيم في تحقيق معنى الاستفهام.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تسعى إلى الربط بين التأصيل الصوتي والشواهد النحوية التراثية والتركيز على ظاهرة حذف همزة الاستفهام بوصفها نموذجًا تطبيقيًا يبرز دور النغمة الصوتية في تحقيق الدلالة.

المنهجية: إجراءات البحث وأدواته:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي، مع الإفادة من بعض آليات التحليل الصوتي الحديثة، وذلك بهدف دراسة ظاهرة حذف همزة الاستفهام في العربية في ضوء التأصيل الصوتي، وتحليل العلاقة بين الأداة النحوية والقرائن الصوتية ونقّدت إجراءات البحث وفق مجموعة من الخطوات العلمية المنظمة، تمثلت في الآتي:

أولاً: جمع المادة العلمية:

قام البحث على جمع علمي متنوع من المصادر التراثية والحديثة، شمل:

- كتب النحو العربي القديمة.
- كتب علم الأصوات العربية.
- الدراسات اللسانية الحديثة.
- الشواهد اللغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي القديم.
- بعض النماذج من الاستعمال اللغوي المعاصر.

ثانياً: اختيار العينة اللغوية:

تم اختيار عينة من المسائل اللغوية التي وردت فيها ظاهرة الحذف، وهي (همزة الاستفهام) لأنها أم الباب، وأقرَّ عدد من النحاة جواز حذفها، وقد وردت العديد من الشواهد على تقدير حذفها. وقد روعي في اختيار هذه العينة:

- تنوع السياقات اللغوية.
- وضوح الظاهرة اللغوية.
- إمكانية تحليلها في ضوء القرائن الصوتية.

ثالثاً: طرق جمع البيانات:

اعتمد البحث في جمع البيانات على عدد من الوسائل العلمية، من أهمها:

- الاستقراء المباشر للمصادر النحوية واللغوية.
- استخراج الشواهد التي تتضمن حذف همزة الاستفهام.
- تحليل السياق اللغوي والصوتي للجمل الاستفهامية.
- المقارنة بين وجود الأداة وغيابها في الجملة.

رابعاً: أدوات التحليل:

استخدم البحث مجموعة من الأدوات العلمية في تحليل البيانات، من أبرزها:

- التحليل اللغوي النحوي.
- التحليل الصوتي الوظيفي.
- تحليل التنغيم والنبر في الجملة الاستفهامية.
- المقارنة بين التفسير التراثي والتفسير الصوتي الحديث.

خامساً: أسلوب المعالجة والتحليل:

تم تحليل البيانات وفق الخطوات الآتية:

1. تحديد الجملة الاستفهامية محل الدراسة.
2. بيان وجود همزة الاستفهام أو حذفها.
3. تحليل السياق اللغوي للجملة.
4. دراسة الدور الذي يؤديه التنغيم في تحديد معنى الاستفهام.
5. مقارنة نتائج التحليل بما ورد في كتب النحو والتراث اللغوي.

وبذلك سعى البحث للوصول إلى تفسير علمي متكامل يجمع بين التحليل النحوي والصوتي للظاهرة، ورتبت موضوعات البحث كالآتي:

مفهوم التأصيل الصوتي وأصوله في الدرس اللغوي الحديث:

أولاً: تعريف التأصيل الصوتي لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الفرق بين التأصيل الصوتي والقياس النحوي التراثي.

ثالثاً: الأسس المعرفية للتأصيل الصوتي في نظرية تضافر القرائن.

نبذة عن الاستفهام وهمزة الاستفهام:

• همزة الاستفهام بين الحذف والنحو والإبقاء الصوتي.

النبر والتنغيم وهمزة الاستفهام:

أولاً: تعريف النبر والتنغيم في علم الأصوات الحديث.

ثانياً: التنغيم أصل في الاستفهام وليس الهمزة.

الاستغناء عن الهمزة بالنغمة في الشواهد التراثية:

أولاً: الشاهد الأول - عمر بن أبي ربيعة (رواية "قالوا تحبها")

ثانياً: الشاهد الثاني - الأخطل (رواية "أم رأيت").

النبر والتنغيم في الاستفهام التصديقي والتصوري:

أولاً: الاستفهام التصديقي والتصوري.

ثانياً: دور التنغيم في التمييز بين التصديقي والتصوري.

ثالثاً: حدود الاكتفاء بالتنغيم: متى لا يجوز الحذف؟

الاستفهام بين القرائن المتضافرة والتأصيل الصوتي:

أولاً: نظرية تضافر القرائن وتطبيقها على حذف همزة الاستفهام.

ثانياً: نظرية تضافر القرائن وتطبيقها على شاهد نحوي عن حذف همزة الاستفهام.

التأصيل الصوتي في ضوء علم الأصوات المعاصر - الأنماط النغمية:

أولاً: الفونيمات فوق التركيبية وأثرها في الاستفهام.

ثانياً: التمييز بين النبر والتنغيم.

ثالثاً: الأنماط النغمية الأساسية في الاستفهام العربي.

رابعاً: النمط الصاعد (الاستفهامي) بديلاً عن الهمز.

مفهوم التأصيل الصوتي وأصوله في الدرس اللغوي الحديث:

أولاً: تعريف التأصيل الصوتي لغة واصطلاحاً:

التأصيل لغة: جعل الشيء أصلاً يُرجع إليه، والتأصيل الصوتي اصطلاحاً هو: الكشف عن القواعد والضوابط الطبيعية التي تحكم الظواهر الصوتية في اللغة، وإرجاعها إلى أصولها الفيزيائية والوظيفية، بعيداً عن الافتراضات المجردة أو القياسات المصطنعة. ويهدف التأصيل الصوتي إلى تفسير الظواهر اللغوية انطلاقاً من نظام الأصوات

ذاته، لا من خلال قياسات نحوية خارجية.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: إن "المنهج الصوتي للبنية العربية" يقوم على دراسة الأصوات في سياقاتها الحقيقية لا في تجريداتها النظرية (شاهين، 1980م، ص 5). وهذا يعني أن أي ظاهرة لغوية - ومنها حذف الهمزة - يجب أن تُدرس أولاً في ضوء ما يحدث في النطق الفعلي، قبل أن تُحال إلى قواعد نحوية، ثم الفرق بين التأصيل الصوتي والقياس النحوي التراثي، يليه دراسة الأسس المعرفية للتأصيل الصوتي في نظرية تضافر القرائن.

يعتمد التأصيل الصوتي في تحليل زيد قائم؟ه على فكرة تضافر القرائن التي طرحها تمام حسان، التي تنص على أن المعنى اللغوي لا ينبثق من عنصر واحد، بل من تضافر عدة قرائن: صوتية، تركيبية، سياقية، تداولية. يقول حسان: "التنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق" (حسان، 2006م، ص 226). وعلى أساس هذه النظرية، لا تكون الهمزة وحدها كافية لإحداث معنى الاستفهام، بل تحتاج إلى تضافر مع القرينة الصوتية (نغمة الاستفهام). والعكس صحيح: القرينة الصوتية وحدها قد تكون كافية في غياب الأداة النحوية، كما في قولنا: "كتبت الدرس؟" بنغمة صاعدة.

نبذة عن الاستفهام وهمزة الاستفهام:

الاستفهام هو مصدر استَفْهَمَ، واستَفْهَمْتُ أي: طلبتُ الفهم، يقول ابن منظور: "استَفْهَمْتُ: سأله أن يُفْهَمَهُ، وقد استَفْهَمَنِي الشَّيْءَ فَأَفْهَمْتُهُ وَفَهَّمْتُهُ نَهْيَمًا" (ابن منظور، 1414هـ، مادة: ف ه م). فالاستفهام "طلب الفهم" (الرماني، ص 73)، "وحقيقته: استعلام المجهول، وقد تجيء على غير ذلك" (الخباز، 2007م، ص 580)، وعرفه السبكي بأنه: "أحد أنواع الطلب. ووزنه (استَفْعَال)، فهو طلب الفهم، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره" (أحمد بن كافي، 2003م، ص 423/1).

الاستفهام "وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشئيين، أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور" (الجرجاني، 1983م، ص 18).

إذن فطلب التصديق هو الاستفهام عن النسبة، لإثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، ويجاب عنه ب(نعم) أو (لا) وتستخدم (هل) للاستفهام عن التصديق فقط، أمّا الهمزة فيستفهم بها عن التصديق والتصوير.

وطلب التصور: هو طلب التعيين، ويستفهم بالهمزة عن التصور، وبأسماء الاستفهام، وهي: من، ما، ماذا، أي، كم كيف، متى، أيان، أين، أنى.

"ثم هذه الألفاظ كثيرا ما تُستعمل في معانٍ غير الاستفهام على حسب المقام" (الزجاجي، 1968م، ص 234/1) ويسمى الاستفهام المجازي، وذلك لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفهم إلى معانٍ أخرى، ومنها: النفي، الإنكار، التقرير، التحقير، التعجب، التسوية، التشويق، التمني، الوعيد، التهويل، الاستبطاء، التحسر، التهكم، التعظيم، وغيرها.

واعتنى النحاة، والبلاغيون، واللغويون بدراسة أدوات الاستفهام، ولا سيما همزة الاستفهام؛ لأنها أم الباب؛ ولما تختص به من خصائص تنفرد بها عن بقية أدوات الاستفهام ومن هذه الخصائص:

أنه يُستفهم بها عن التصور والتصديق، وتكون للموجب والمنفي، وأنها تدخل على (الفاء)، و(الواو)، و(ثم)، ولا

يوجب إعادتها مع (أم) المتصلة.

حاولت الباحثة في هذا المبحث أن تقدم تصوّراً دقيقاً لمفهوم الاستفهام وأدواته، متوخّية الموضوعية في عرض أقوال النحاة، ومتجنّبة الانحياز إلى مذهب بعينه.

همزة الاستفهام بين الحذف النحوي والإبقاء الصوتي:

لم يجمع النحاة على جواز حذف همزة الاستفهام في الاختيار، بل كان لهم في هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

1. أنها تُحذف للضرورة في الشعر إذا دلت عليها (أم).

2. أنها تُحذف اختياراً في الشعر والنثر إذا دلت عليها (أم).

3. أنها تُحذف اختياراً في الشعر والنثر إذا أمن اللبس، ولا يشترط في حذفها أن يكون بعدها (أم).

وهذه المذاهب تدل على أن المسألة كانت خلافية، وأن جواز الحذف مقيد بوجود قرينة (أم) أو أمن اللبس، ولكن التأصيل الصوتي يذهب إلى أبعد من ذلك: فحذف الهمزة ليس ضرورة ولا رخصة، بل هو الأصل عندما تقوم النغمة مقام الأداة وتؤدي المعنى المراد.

النبر والتنغيم وهمزة الاستفهام

أولاً: تعريف النبر والتنغيم في علم الأصوات الحديث:

النبر (Stress) هو: "إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق" (مجمع اللغة العربية، 1972م، مادة: نبر). ويتميز النبر بأنه يقع على مستوى الكلمة الواحدة، مثل نبر المقطع الأخير في كلمة "صحيح؟" للدلالة على الاستفهام التقريبي.

أما التنغيم (Intonation) فهو: نغمة الجملة كلها، وتغيّر درجة الصوت أثناء الكلام. وهو ظاهرة فوق تركيبية (suprasegmental)، أي أنها لا تقتصر على صوت واحد أو مقطع واحد، بل تمتد على الجملة بأكملها. ويؤدي التنغيم وظائف دلالية متعددة، منها: التمييز بين الخبر والاستفهام، والأمر والرجاء، والتعجب والسخرية (أحمد، 2019م، ص 24).

ثانياً: التنغيم أصل في الاستفهام وليس الهمزة:

يقول ابن جني في بيان ضعف أداة الاستفهام وحدها: "ألا ترى أنك لا تجيز الوقوف على (هل) في قولك: هل قام زيدٌ؟؛ لضعف الحرف؛ وعدم الفائدة أن توجد فيه إلا مربوطاً بما بعده" (ابن جني، 2000م، ص 321/2). أي أن (هل) لا تؤدي الاستفهام إذا وقف عليها المتكلم وانقطع الصوت؛ لأن النغمة الاستفهامية تحتاج إلى أن تمتد على الجملة كلها.

و يدلُّ هذا على أن النغمة هي الأصل، والأداة مجرد تابعة لها، فإذا كانت النغمة وحدها قادرة على تحويل الجملة الخبرية إلى استفهامية (كما في "زيدٌ قائمٌ؟")، مثال آخر: المثال المعاصر "فَهِمَّتِ الدَّرْسُ؟" (بنبرة صوت صاعدة في آخر الجملة)، فإن ذلك يعني أن الأداة (الهمزة أو هل) ليست ضرورية وجوداً، بل يمكن الاستغناء عنها بالكامل.

ويؤكد سمير ستيتية هذه الفكرة بقوله: "الاستفهام في حقيقته التركيبية تحويل تركيب إخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة وتنغيم معين، أو الاكتفاء بالتنغيم أحياناً" (ستيتية، 1989م، ص 32).

الاستغناء عن الهمزة بالنغمة في الشواهد التراثية:

أولاً: الشاهد الأول: عمر بن أبي ربيعة (رواية "قالوا تحبها")
يقول عمر بن أبي ربيعة:

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا ... عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

(ديوان عمر بن أبي ربيعة، 1960، ص 54).

رُويَ هذا البيت بست روايات، أربع منها حُذفت فيها أداة الاستفهام تمامًا (الهمزة أو هل، وذهب النحاة فيها إلى مذاهب، هي:

مذهب ابن جني، فهو يرى أن التقدير: أتحبها؟ (ابن جني، د.ت، 283/2).

مذهب المبرد، ويرى أنه إخبار وليس استفهامًا: "إنما قالوا: أنت تحبها، أي: قد علمنا ذلك" (المبرد، 1997، 181/2).

- ومن النحاة من اعتبره استفهامًا إنكاريًا محذوفًا (الألوسي، 1994م، 188/4).

أما من منظور التأصيل الصوتي، فليس هناك حاجة لافتراض حذف أو تقدير، بل الجملة "تُحِبُّهَا" قيلت بنغمة استفهامية صاعدة، وهذه النغمة وحدها كافية لتحويل الخبر إلى استفهام، ولم يلجأ السامع إلى تقدير همزة محذوفة، بل فهم الاستفهام مباشرة من نغمة الصوت.

ثانياً: الشاهد الثاني: الأخطل (رواية "أم رأيت")

يقول الأخطل:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ ... غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ حَيَالًا.

(ديوان الأخطل، 1994م، ص 245)

حُذفت في هذه الرواية أداة الاستفهام، واكتفي بـ (أم) الدالة عليها. وقد ذهب النحاة في تأويل (أم) إلى أربعة مذاهب:

1. أنها متصلة والهمزة محذوفة (شرح الدماميني، 1983م، ص 270).

2. أنها بمعنى (بل) للإضراب المحض (الفراهيدي، 1995م، ص 310).

3. أنها بمعنى الإضراب والاستفهام معًا (الشيباني، 2001م، ص 245).

4. أنها للاستفهام المجرد بمعنى (هل) (النحاس، 1992، ص 80).

يفسّر التأصيل الصوتي هذا البيت بأن الجملة قيلت بنغمة استفهامية صاعدة، وأن (أم) ليست إلا قرينة لفظية مساعدة، وليست ضرورية لفهم الاستفهام. والدليل أن هناك رواية أخرى للبيت ذكرت (هل) صراحة: "كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ هَلْ رَأَيْتَ" (المسالك في شرح موطأ مالك، 2007م، 351/2)، مما يعني أن المعنى الأصلي هو استفهام تصديقي، وأن النغمة هي التي حملته.

النبر والتنغيم في الاستفهام التصديقي والتصوري:

أولاً: الاستفهام التصديقي والتصوري:

الاستفهام التصديقي (الموجب) هو: طلب معرفة ثبوت النسبة بين الشئيين أو نفيها، ويجاب عنه بـ (نعم) أو

(لا) وتستخدم له (هل) أو الهمزة. مثال: "هل قام زيدٌ؟" أو "أقام زيدٌ؟"، وقولك: "هل أنهيتَ التقرير؟" (الجواب المتوقع: نعم أو لا).

أما الاستفهام التصوري فهو: طلب تعيين شيء مجهول، ويستخدم له أسماء الاستفهام (من، ما، متى، أين، كيف...). مثال: "من جاء؟" "متى سافر؟".

ثانياً: دور التنغيم في التمييز بين التصديقي والتصوري:

يبقى التنغيم في حالة حذف أداة الاستفهام هو العلامة الوحيدة التي تميز بين الجملة الخبرية والاستفهامية، وتؤدي دلالة الاستفهام، فمثلاً:

الجملة الخبرية: "كتبَتِ الدرسَ" (بنغمة هابطة) ← إخبار.

الجملة الاستفهامية التصديقية: "كتبَتِ الدرسَ؟" (بنغمة صاعدة) ← سؤال عن وقوع الكتابة.

الجملة الاستفهامية التصورية لا يمكن حذف أداة الاستفهام فيها، لأن الأداة هي التي تحدد المجهول المطلوب (من، ما، متى...). فلا يصح أن نقول: "جاء؟" ونريد أن نسأل عن الفاعل (من جاء؟)، بل لا بد من أداة التصور (من).

وهذا يؤكد أن جواز حذف الهمزة مقصور على الاستفهام التصديقي الموجب.

ثالثاً: حدود الاكتفاء بالتنغيم: متى لا يجوز الحذف؟

لا يجوز الاكتفاء بالتنغيم في الحالات التالية:

1. الاستفهام التصوري، لأنه يحتاج إلى أداة تعيين (من، ما، متى...) "فلا يصح أن تقول: 'الطريق إلى المحطة؟' وأنت تقصد 'أين الطريق إلى المحطة؟'".

2. الاستفهام المنفي، قد تدخل الهمزة على المنفي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] وفي هذه الحالة الأفضل ذكر الأداة لا حذفها.

3. الاستفهام التقريري، لأن التقرير يحتاج إلى الهمزة غالباً. يقول سيوييه: "مما يدلك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة (هل) أنك تقول لرجل: أطرباً؟ وأنت تعلم أنه قد طرب؛ لتوبخه وتقرره، ولا تقول ذلك بعد (هل)" (سيوييه 1988م، 3/176).

الاستفهام بين القرائن المتضافرة والتأصيل الصوتي:

أولاً: نظرية تضافر القرائن وتطبيقها على حذف همزة الاستفهام:

تفترض نظرية تضافر القرائن (تمام حسان) أن الفهم اللغوي لا يعتمد على عنصر واحد، بل على مجموعة من القرائن: صوتية، تركيبية، سياقية، تداولية. وفي حالة حذف همزة الاستفهام، تتضافر القرائن التالية:

1. القرينة الصوتية: نغمة الاستفهام الصاعدة (التنغيم).

2. القرينة السياقية: معرفة أن المتكلم يطلب معلومات لم تكن معروفة للسامع.

3. القرينة التركيبية: وجود كلمة استفهام أخرى (مثل أم) أو وجود علامة استفهام في الكتابة.

4. القرينة التداولية: العلاقة بين المتكلم والسامع، وما إذا كان السؤال مناسباً للمقام.

ففي قولنا: "محمد في الفصل؟" (عمر وآخرون، 2003م، 4/112)، تضافت القرينة الصوتية (نغمة الصعود)

مع القرينة السياقية (وجود شك في مكان محمد) والقرينة التداولية (السائل ينتظر إجابة بنعم أو لا)، فلم تعد هناك حاجة للهمزة.

ثانياً: نظرية تضافر القرائن وتطبيقها على شاهد نحوي عن حذف همزة الاستفهام:

وتشير الباحثة إلى أن نظرية تضافر القرائن لم تُستثمر بالشكل الكافي في الدرس اللغوي العربي، وإنّ تطبيقه هنا على قضية حذف الهمزة يكشف عن طاقاتها التفسيرية الهائلة، ويثبت أن المعنى لا تصنعه أداة واحدة، بل تُنتجها شبكة من القرائن المتساندة.

وورد في التراث عددٌ من الشواهد لتقدير همزة الاستفهام، من هذه الشواهد: قول عمر بن أبي ربيعة: (ديوانه، 1960م ص54):

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

وللشاهد أكثر من رواية:

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

حِينَ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ.

قِيلَ لِي: هَلْ تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا....

وقد وردت رواية: عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ في ديوانه، والكتاب (سيبويه، 1988م، ص 1/311)، والخصائص (ابن جني، 281/2)، ورواية: عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ، وردت في كتاب المحاسن والأضداد (الجاحظ، 1423هـ، ص 289)، وفي كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (النهرواني، 2005م، ص 525)، وزهر الآداب وثمر الألباب (القيرواني، ص 1/292)، ورواية: عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ، أمالي ابن الشجري (الشجري، 1991 م، ص 1/407)، ورواية: عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ، وردت في كتاب الأمثال المولدة (الخوارزمي، 1424هـ، ص 256)، ووردت رواية: قِيلَ لِي: هَلْ تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا، في كتاب الأغاني (الاصفهاني، 89/1)، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (المزرباني، ص 258).

فالشاهد له ست روايات، اتفقت جميعها على تقدير أداة الاستفهام، إلا رواية واحدة ذكّرت أداة الاستفهام صراحةً حكاها أبو عمرو بن العلاء عن بعض الرواة، وهي:

قِيلَ لِي هَلْ تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا.

قائل البيت معروف (عمر بن أبي ربيعة)، وهو ممن يحتجّ بشعره، إلا أنّ بعض اللغويين والنحويين أنكروا عليه هذا الشاهد (الشيبياني، 2001م، ص 49)، وممن صرّح بذلك عمرو بن العلاء، فقد روي عن الأصمعي أنّه قال: "إنّ أبا عمرو بن العلاء يقول: عمر بن أبي ربيعة حجّة في العربية، وما تعلق عليه بشيء غير حرف واحد" (المزرباني، 258)، يريد هذا البيت برواية (قالوا: تحبها)، أمّا رواية (هل تحبها؟) لا تحتل التأويل ولا اللبس وهي موافقة للقياس إلّا أنّ سند روايتها أضعف.

"وإذا تعارض نقلان أخذ بأرجحهما، والترجيح في شيئين: أحدهما الإسناد، والآخر المتن: فأما الترجيح بالإسناد

فبأن يكون رواية أحدهما أكثر من الآخر أو أعلم أو أحفظ" (السيوطي، 1989 م، ص 384).
 وبهذا الضابط تُرَجَّح رواية (ثم قالوا: تحبها؟) لأنها أكثر عدداً، وأمّا رواية (قيل لي: هل تحبها؟) فلم يروها إلا أبو عمرو بن العلاء على ما وَقَفَتْ عليه الباحثة من مصادر، والرواية الأولى هي المشهورة، "ولعل من روى ذلك- أي: هل تحبها- فَرَّ بهذه الرواية من اللحن" (المرتضى، 1954 م، ص 346/1).
 وأمّا الترجيح في المتن فيقتضي دراسة الشاهد ورأي النحاة فيه؛ لمعرفة الأوجه التي يحتملها؛ ولتحديد ما وافق ال-قياس منها وما خالفه.

أمّا رواية: (ثم قالوا: تحبها) ففيها لبس بين الإخبار والاستفهام؛ لأنها تحتمل المعنيين؛ ولا يوجد دليل لفظي ظاهر في الجملة يُعَصِّد أحد الاحتمالين، ويرى ابن جنى أن "أظهر الأمرين فيه أن يكون أراد: أتحبها؟؛ لأن البيت الذي قبله يدل عليه، وهو قوله:

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى ... بَيْنَ حَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ.

لهذا ونحوه نظائر" (ابن جنى، ص 283/2).

إذ يرى العكبري أن الشاعر أراد (أتحبها؟)، فحذف الاستفهام لظهور معناه، وهو شاذ في الاستعمال والقياس؛ فلا ينبغي أن يُقرأ به، إلا أن ما ذهب إليه ابن جنى لا يتعين فيه الاستفهام، بل الإخبار فيه أقوى بالاعتماد على السياق والقرينة الحالية، فلما أجابت الثريا دعوة أبي عمر بعد ما أضنته بهجرها، وجاءته تتهادى "وهو التمايل في المشية"، (ابن هشام، 1985 م، ص 41/1) تبدل حاله برؤيتها، فقال القائلون: (أنت تحبها) تأكيداً لا استفهاماً، ولعل في ذكر مطالع القصيدة بياناً شافياً لما دكرته الباحثة، قال عمر بن أبي ربيعة:

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي: ... أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُحْتِ الرَّبَابِ.
 قُلْتُ: وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِأَلْمَا ... إِذَا مَا مُنِعَتْ بَرْدَ الشَّرَابِ.
 مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَائِي ... صُفْتُ نَزْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ.
 سَلَبْتَنِي مَجَاجَةُ الْمَسْكِ عَقْلِي ... فَسَلُوهَا بِمَا يَجِلُّ اغْتِصَابِي.
 أَزَهَقْتُ أَمْ نُوْقِلُ إِذْ دَعَتْهَا ... مُهَجَّتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ.
 حِينَ قَالَتْ: فُومِي أَجِنْبِي فَقَالَتْ: ... مَنْ دَعَانِي قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ.
 فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَنِي ... رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ النَّوَابِ.
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى ... بَيْنَ حَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ.
 فَتَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جَنَّ قَلْبِي ... حَالَ دُونِي وَلَائِدٌ بِالنِّيَابِ.
 وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرَ مِنْهَا ... فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ.
 حِينَ شَبَّ الْقَتُولُ وَالْعَتَقُ مِنْهَا ... حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كَالرَّرِيَابِ.
 دَكَّرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ، لَمَّا ... طَلَعَتْ مِنْ نُجْنَةٍ وَسَحَابِ.
 دَمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ قَيْسِي ... صَوَّرُوهَا فِي مَذْبَحِ الْمَحْرَابِ.
 فَارْجَحْنَتْ فِي حُسْنِ خُلُقِي عَمِيمٍ ... تَنْتَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْحُبَابِ.
 ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قُلْتُ بِهِرًا ... عَدَدَ النِّجْمِ وَالْحَصَى وَالْأَتْرَابِ.

ويجد المتأمل للقصيدة أن الشاعر قد سُئل في البيت الأول عن حبه لثريا قبل أن تصالحه، وأجاب واصفاً شدة حبه ووجوده، وما حل به من هجرها، وبعد ما وجدوا من تغير حاله بعد ما رآها مقبلة عليه، تأكدوا من حبه لها من رد فعله لا من قوله ووصفه- الذي في البيت الأول-، فقالوا: (أنت تحبها)، وتتأكد هذه الصورة بربط الشاعر بين الفعلين (أبرزوها) و (قالوا) ب(ثم) العاطفة التي هي "لترتيب في المعنى بتراخ" (الوردي، 2008م، ص 506/2)، وأنَّ القول حصل من الجماعة أي أنهم أقرأوا وشهدوا على أنه يحبها، وأنَّ رده (بهرًا) هو تأكيد أو إنكار أو توبيخ لشهادتهم.

و(عجبا) أي: أعجب قولكم هذا الآن لتوقعه أنه استقر في عقولهم منذ زمن ما كان يصف لهم من حبه ووجوده، وقد يكون إنكاراً لهم بأنَّ ما به ليس يحبها فحسب أو أنَّ حبه لها ليس كما قالوا إنَّما هو أكبر وأكثر مما قالوا. ورؤي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: وله وجه إن كان أراد الخبر ولم يرد الاستفهام، لأنه إن كان أراد الاستفهام فكان ينبغي أن يقول: أتحبها، وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام كأنَّهم قالوا: أنت تحبها، على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام، فأكدَّ هو إخبارهم بقوله، فهذا حسن (ينظر: المزرباني، ص 259، والبغدادي، ص 37/1).

وذهب المبرد إلى ذلك- أي أنَّ وجه الإخبار أولى-: فقال: (تُحبها) إيجاب عليه، غير استفهام؛ إنَّما قالوا: أنت تحبها، أي: قد علمنا ذلك، فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه" (المبرد، 1997م، ص 181/2)، وقال ابن عصفور: "فليس على حذف الهمزة كما ذهب إليه بعضهم؛ لعدم الدليل على ذلك، وإنَّما قالوا له: أنت تحبها، قد علمنا ذلك وتحققناه منك" (ابن عصفور، 1980م، ص 159).

وممن ذهب مذهب ابن جني في أنَّ المعنى المراد هو الاستفهام الألوسي، إذ قال: "وقيل: إنَّ في الكلام استفهاماً إنكارياً محذوفاً، وحذف أداة الاستفهام كثيرٌ في كلامهم" (الألوسي، 1994م، ص 188/4).

أمَّا في قوله (بهرًا)، فمعنى (بهرًا): تعسا لهم، كذلك يقول بعض أهل اللغة، وقال بعضهم معنى بهراً لهم: غلبة لهم وقهراً لهم، كأنَّه دعا عليهم بالغلبة، قالوا: ومن ذلك قولهم: بهَرَ القمرُ الكواكبَ إذا قوي ضوءه فغلب ضوء الكواكب، وقد تستعمل: بهراً لفلان، بمعنى التعجب كما في قوله: (ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً)، إنَّما معناه: عجباً لهم، والبهرُ: هو شدة الضياء (الزجاجي، 1985م، ص 124).

وقال الأصمعي: "كنتُ أحسب أنَّ قوله: بهراً، من الدعاء عليه، فسمعتُ رجلاً من أهل مكة يقول:

إِذَا مَا تَأَبَى تُرِيدُ الْقِيَامَ ... تَهَادَى كَمَا قَد رَأَيْتَ الْبَهِيرَا.

ومعنى قوله: بهراً أي: جهراً لا أكاتم"، (الأزدي، 1987م، ص 331/1).

وقال ثعلب: "قال ابن الأعرابي: قوله: بهراً، بهركم الله! أتظنون أني لستُ كذا؟، وقال غيره: عجباً لكم! كيف تظنون بي غير هذا؟" (البغدادي، ص 73/1).

ويرى سيبويه أن: (قلت: بهراً) "كأنَّه قال: جهداً، أي جهدي ذلك، وأنَّ بهراً بدلٌ من بهرك الله"، (سيبويه، 1988م، ص 132/1)، وكذلك قال أبو حيان، أمَّا المبرد فيرى أن: بهراً يكون على وجهين؛ أحدهما: حُباً يبهرنى بهراً، أي: يملؤني ويقال للقمر ليلة البدر: باهر، أي يبهز النجوم، يملؤها، والوجه الآخر: أن يكون أراد (بهرًا لكم) أي: تبأ لكم حيثُ تلوموني على هذا، (ينظر: المبرد، 1997م، ص 182/2).

ويرى السيرافي، والفارابي، وابن يعيش، وابن مالك أن بهراً في البيت بمعنى: عجا، (ينظر: السيرافي، ص 241/2، الفارابي، 1987م، ص 598/2، وابن يعيش، ص 297/1، وابن مالك، ص 184/2)، وذكر ابن منظور أن "معنى: بهراً في هذا البيت: جمًا، وقيل: عَجَبًا" (ابن منظور، 1414هـ، مادة: ب هـ ر).

وعلى الرغم من اختلاف اللغويين والنحويين في تفسير معنى (بهراً) إلا أن كل ما ذكره لا يفسد المعنى، ولا يخرج عن كونه ردًا على قولهم: (تحبها؟) - سواء أُريد به الإخبار أم الاستفهام - ولا يؤاخذ الشاعر عليها، فقد تضافرت القرينة الصوتية (نغمة الصعود) مع القرينة السياقية، والقرينة التداولية (السائل ينتظر إجابة بنعم أو لا)، فلم تعد هناك حاجة للهمزة للحصول على دلالة الاستفهام.

التأصيل الصوتي في ضوء علم الأصوات المعاصر - الأنماط النغمية:

أولاً: الفونيمات فوق التركيبية (Suprasegmental Phonemes) وأثرها في الاستفهام:

تُقسم الوحدات الصوتية في علم الأصوات الحديث إلى نوعين: فونيمات تركيبية (Segmental)، وفونيمات فوق تركيبية (Suprasegmental).

(جدول 1)

النوع	التعريف	المثال
فونيمات تركيبية (Segmental)	أصوات تتكون من حروف صامتة ومتحركة (مقاطع صوتية متتالية)	ف، الكوب، ماء
فونيمات فوق تركيبية (Suprasegmental)	صفات صوتية تمتد على أكثر من مقطع، ولا تُكتب في الرسم العادي	النبر، التنغيم، المقطع، الوقف

يقول الدكتور عطية سليمان أحمد: "الفونيم فوق التركيبية هو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل، وهو عكس الفونيم التركيبية، فلا يكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما يلحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، وهي لذلك لا تظهر في الكتابة، ولكن في النطق فقط" (أحمد، 2019م، ص 23).

وهذا يعني أن النبر والتنغيم هما وحدات صوتية قائمة بذاتها، لها وظائف دلالية ونحوية، وليست مجرد زينة أو تحسين للكلام. وفي حالة الاستفهام، يقوم الفونيم فوق التركيبية (التنغيم) بوظيفة أداة الاستفهام المحذوفة، بل يتفوق عليها في الدقة والمرونة، ومن الفروق الجوهرية بين النبر والتنغيم:

(جدول 2)

النبر (Stress)	التنغيم (Intonation)	المعيار
يقع على مقطع واحد داخل الكلمة	يمتد على الجملة أو العبارة بأكمله	النطاق
الشدة (قوة النطق)	ارتفاع درجة الصوت (النغمة) وانخفاض	العنصر الصوتي الأساسي
تمييز المعنى المعجمي (مثل: مُدْرَس، مُدْرَس)	تمييز المعنى التركيبية (خبر، استفهام، أمر، تعجب)	الوظيفة الأساسية
صحيح" (نبر على المقطع الأول) صحيح" (نبر على الثاني)	زيد قائم. " (نغمة هابطة: خبر) ← "زيد قائم؟" (نغمة صاعدة: استفهام)	مثال
	قد تُشار إليه بعلامة (´) فوق المقطع في الكتابة الصوتية (ولا يُشار إليه في الكتابة العادية)	الكتابة

يُصنف التنغيم في الدراسات الصوتية الحديثة، إلى أنماط رئيسية، لكل منها دلالة تركيبية محددة. وفي اللغة العربية يمكن رصد الأنماط التالية في سياق الاستفهام:

1. النمط الصاعد (Rising Intonation):

- خصائصه: ترتفع درجة الصوت تدريجياً نحو نهاية الجملة.
 - دلالاته: الاستفهام التصديقي الموجب (الذي يجاب بـ "نعم" أو "لا").
 - مثاله: "كتبَتَ الدرسَ؟" (بنغمة صاعدة)، يفهم السامع أن المعنى هو الاستفهام.
- يقول ستيتية: "الاستفهام في حقيقته التركيبية تحويل إخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة وتنغيم معين، أو الاكتفاء بالتنغيم أحياناً" (ستيتية، 1989م، ص 32).

2. النمط الهابط (Falling Intonation):

- خصائصه: تنخفض درجة الصوت نحو نهاية الجملة.
- دلالاته: الجملة الخبرية أو الأمر أو التعجب.
- مثاله: "زيدٌ قائمٌ." (بنغمة هابطة).

3. النمط الصاعد-الهابط (Rise-Fall Intonation):

- خصائصه: ترتفع النغمة ثم تهبط بسرعة.
- دلالاته: الاستفهام التقريري أو الإنكاري (الذي يُقصد به التوبيخ أو التعجب).
- مثاله: "أنتام وأنت تعلم أنك ستتأخر؟"

التطبيق على حذف الهمزة: في هذا النمط، لا يمكن حذف الهمزة بسهولة، لأن الاستفهام التقريري يتطلب وجود الأداة مع النغمة الخاصة. يقول سيوييه: "مما يدل على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة (هل) أنك تقول لرجل: أطرباً؟ وأنت تعلم أنه قد طرب؛ لتوبخه وتقرره" (سيوييه، 1988م، 176/3).

4. النمط المستقر (Level Intonation):

- خصائصه: تبقى درجة الصوت ثابتة دون ارتفاع أو انخفاض كبير.
- دلالاته: التردد أو الحيرة أو الاستفهام التعجبي.
- مثاله: "أنت؟!؟! (بمعنى: أنت فعلت هذا؟!)." .

التطبيق على حذف الهمزة: نادراً ما يُستخدم هذا النمط وحده في الاستفهام، وغالباً ما يصاحبه أداة استفهام محذوفة تُفهم من السياق، بشرط أمن اللبس.

رابعاً: النمط الصاعد (الاستفهامي) بديلاً عن الهمزة:

ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة "ثم قالوا تحبها؟"، (ديوان عمر بن أبي ربيعة، 1960م، ص 54).

التحليل الصوتي:

(جدول 3)

التحليل	العنصر الصوتي
قالوا + تحبها	الكلمة
المقطع الأخير من "تحبها" (ها) فيه نبر ثانوي	المقطع المنبور
نغمة صاعدة على المقطع الأخير من الجملة	النغمة
صاعد ← (Rising) دلالة استفهامية تصديقية	النمط النغمي
يفهم السامع الاستفهام دون حاجة إلى الهمزة	النتيجة

أدى هذا النمط النغمي الصاعد الوظيفة الاستفهامية بنفسه، فالنغمة ليست أثراً (أو دليلاً) لحرف محذوف، بل هي أصل في إحداث معنى السؤال.

يقول ابن جني مؤكداً ضعف الأداة وحدها: "ألا ترى أنك لا تجيز الوقوف على (هل) في قولك: هل قام زيد؟؛ لضعف الحرف؛ وعدم الفائدة أن توجد فيه إلا مربوطاً بما بعده" (ابن جني، 2000م، 321/2). أي أن (هل) بدون النغمة لا تؤدي شيئاً، بينما النغمة بدون (هل) تؤدي الاستفهام تماماً.

وبعد هذا الاستقراء، والتأصيل المنهجي لظاهرة حذف همزة الاستفهام في ضوء الدرس الصوتي الحديث، تتجلى حقيقة علمية مؤداها أن اللغة العربية، بعمقها التركيبي وثرائها الصوتي، لا تقف عند حدود الأداة النحوية المجردة، بل تمتلك من القرائن الصوتية والأنماط النغمية ما يجعلها قادرة على تجاوز القياس النحوي إلى آفاق أرحب من الفهم والتفسير.

فقد أبان البحث أن التنغيم ليس مجرد ظاهرة صوتية عابرة، بل هو عنصر بنيوي أصيل في بناء المعنى، يؤدي في بعض السياقات وظيفة تضاهي وظيفة الأداة النحوية بل تتفوق عليها في الدقة والمرونة، وإذ كان النحاة المتقدمون قد تنبهوا إلى جواز حذف همزة الاستفهام في مواضع مخصوصة، فإن تأصيل هذه الظاهرة صوتياً يكشف أن الحذف ليس ضرورة شعرية ولا رخصة لغوية فحسب، بل هو تجلٍ طبيعي لقدرة النظام الصوتي على حمل المعنى بمفرده حين تتضافر القرائن وتأمين اللبس، كما كشف البحث عن أن التمييز بين الأنماط النغمية-الصاعد والهابط والصاعد-الهابط والمستقر-ليس ترفاً نظرياً، بل هو مفتاح أساسي لفهم حدود جواز الحذف؛ ففي الاستفهام التصديقي الموجب يجوز للتنغيم أن ينوب عن الأداة، بينما في الاستفهام التقريري أو التصوري تظل الأداة ضرورية لا محيد عنها.

وبهذا، يؤكد البحث أن الرؤية التكاملية التي تجمع بين التحليل النحوي والتحليل الصوتي، وتستحضر نظرية تضافر القرائن، تمثل أداة علمية مثلى لفهم الظواهر اللغوية في العربية. ومن هذا المنطلق، فإن الدعوة إلى إعادة قراءة التراث النحوي في ضوء اللسانيات الحديثة ليست دعوة إلى هدم القديم، بل هي سعي إلى إنصافه بفهم أعمق وأشمل، يواكب مستجدات العلم، ويحقق مقاصد اللغة في التيسير والبيان.

وإن في قدرة التنغيم على النيابة عن الأداة النحوية لدليلاً على مرونة العربية وعظمتها، فهي لغة تستوعب المستجدات وتتسع للتحليل من زوايا متعددة، دون أن تفقد هويتها أو تخل بضوابطها. وبهذا يتأكد أن الدراسة الصوتية الوظيفية ليست بديلاً عن النحو، بل هي سند له، وامتداد طبيعي يفتح أمام الدرس اللغوي العربي آفاقاً رحبة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتؤكد أن العربية-بحق- لغة العلم والحضارة.

النتائج والمناقشة:

توصل البحث، من خلال تحليل الشواهد اللغوية ودراسة الظاهرة في ضوء التأصيل الصوتي، إلى مجموعة من النتائج العلمية يمكن إجمالها في أن همزة الاستفهام - على أصالتها النحوية - هي أحد وجوه التعبير عن الدلالة الاستفهامية، وأن التنغيم يؤدي دوراً وظيفياً جوهرياً يمكنه من النيابة عنها في سياقات محددة، وقد ثبت من خلال تحليل الشواهد أن حذف الهمزة لا يُعد خروجاً على النظام اللغوي، بل هو امتداد طبيعي لقدرة القرينة الصوتية على حمل المعنى كاملاً في الاستفهام التصديقي الموجب، وهو ما يكمل ويعضد تفسيرات النحاة بالحذف والتقدير

بتفسير وظيفي أكثر اتساقاً، كما كشف التحليل أن التنغيم ليس مجرد مُحسّن صوتي، بل هو عنصر بنيوي في تحديد نوع الجملة وتمييز دلالاتها الدقيقة، وأخيراً، فإن المنهج التكاملي الذي يجمع بين التحليل النحوي والصوتي يُثبت كفايته في تقديم فهم أعمق وأشمل للظواهر اللغوية.

وتظهر أهمية هذه النتائج في أنها تفتح آفاقاً جديدة لدراسة اللغة العربية في ضوء اللسانيات الحديثة، كما يمكن أن تسهم في تطوير مناهج تعليم اللغة العربية، ولا سيما في مجال تعليم مهارات النطق والتواصل اللغوي. ومن المتوقع أن يكون لهذه النتائج أثر علمي مستقبلي في:

- تطوير الدراسات الصوتية في العربية.
- إعادة قراءة بعض القضايا النحوية التراثية.
- توظيف التحليل الصوتي في الدراسات اللغوية التطبيقية.

التوصيات

استناداً إلى ما توصل إليه البحث من نتائج، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العلمية التي قد تسهم في تطوير الدراسات اللغوية في هذا المجال، ومن أبرزها:

- ضرورة توسيع الدراسات التي تربط بين النحو العربي وعلم الأصوات الحديث.
- الاهتمام بدراسة التنغيم في اللغة العربية بوصفه عنصراً أساسياً في بناء المعنى.
- تشجيع الباحثين على إعادة تحليل بعض الظواهر النحوية التراثية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.
- إدخال التحليل الصوتي ضمن مناهج تعليم اللغة العربية في الجامعات.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة وبرامج تحليل الصوت في الدراسات اللغوية التطبيقية.
- إعداد دراسات ميدانية تعتمد على تسجيل الكلام الطبيعي وتحليل أنماط التنغيم في الجمل الاستفهامية.
- تطوير مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها من خلال التركيز على الجانب الصوتي الوظيفي للغة.

قائمة المصادر والمراجع (مرتبة هجائياً):

- (1) أحمد، عبد الستار. (2019م)، في علم الأصوات: الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع، النبر، التنغيم): سورة الواقعة نموذجاً. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- (2) الأخطل، غياث بن غوث. (1994م) ديوان الأخطل. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (3) الأصفهاني، أبو الفرج. (د.ت). الأغاني. تحقيق: سمير جابر. دار الفكر - بيروت.
- (4) الألوسي، محمود بن عبد الله. (1994م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (5) البخاري، محمد بن إسماعيل. (1993م)، صحيح البخاري. دار ابن كثير.
- (6) البغدادي، عبد القادر بن عمر. (د.ت) شرح أبيات مغني اللبيب. تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. دار المأمون للتراث - بيروت.
- (7) الجاحظ، عمرو بن بحر. (2003م) المحاسن والأضداد. دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- (8) الجرجاني، علي بن محمد. (1983م) التعريفات. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (9) ابن جني، عثمان بن جني. (د.ت) الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (10) ابن جني، عثمان بن جني. (2000م) سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية - بيروت.

- (11) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي. (د.ت) *زهر الآداب وثمر الألباب*. دار الجيل - بيروت.
- (12) حسان، تامم. (2006م) *اللغة العربية معناها ومبناها*. عالم الكتب.
- (13) الخباز، أحمد بن الحسين. (2007م) *توجيه اللمع*. تحقيق: فايز زكي محمد دياب. دار السلام - القاهرة.
- (14) الخوارزمي، محمد بن العباس. (2004م) *الأمثال المولدة*. المجمع الثقافي - أبو ظبي.
- (15) ابن دريد، محمد بن الحسن. (1987م) *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين - بيروت.
- (16) الدماميني، محمد بن أبي بكر. (1983م) *تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد*. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المفدى.
- (17) الرماني، علي بن عيسى. (د.ت) *رسالة الحدود*. تحقيق: إبراهيم السامرائي. دار الفكر - عمان.
- (18) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1985م) *اللامات*. تحقيق: مازن المبارك. دار الفكر - دمشق.
- (19) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (1986م) *الإيضاح في علل النحو*. تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت.
- (20) السبكي، أحمد بن علي. (2003م) *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. تحقيق: عبد الحميد هندواي. المكتبة العصرية - بيروت.
- (21) ستيتية، سعيد. (1989م). *الأنماط التحويلية في الجمل الاستفهامية*. مجلة المورد.
- (22) السقار، محمد بن محمد. (د.ت) *دلائل النبوة*. رابطة العالم الإسلامي.
- (23) السيرافي، الحسن بن عبد الله. (د.ت) *شرح كتاب سيبويه*. تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي. دار الكتب العلمية.
- (24) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988م) *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي - القاهرة.
- (25) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1966م) *شرح شواهد المغني*. لجنة التراث العربي.
- (26) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1989م) *الاقتراح في أصول النحو وجبله*. تحقيق: محمود فجال. دار القلم - دمشق.
- (27) شاهين، عبد الصبور. (1980م) *المنهج الصوتي للبنية العربية*. مؤسسة الرسالة.
- (28) ابن الشجري، هبة الله بن علي. (1991م) *أمالي ابن الشجري*. تحقيق: محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي - القاهرة.
- (29) الشريف المرتضى، علي بن الحسين. (1954م) *أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية.
- (30) الشيباني، أبو عمرو. (2001م) *شرح المعلمات التسع*. تحقيق: عبد المجيد هومو. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- (31) ابن عصفور، علي بن مؤمن. (1980م) *ضرائر الشعر*. تحقيق: السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس.
- (32) عمر، أحمد مختار، وآخرون. (2003م) *في أصول اللغة: القرارات التي صدرت في الدورات من الثامنة والأربعين إلى الثامنة والستين*. منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- (33) عمر بن أبي ربيعة. (1960م) *ديوان عمر بن أبي ربيعة*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار القلم - بيروت.
- (34) الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987م) *الصاحح: تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين - بيروت.
- (35) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1995م) *الجمل في النحو*. تحقيق: فخر الدين قباوة.
- (36) ابن العربي، محمد بن عبد الله. (2007م) *المسالك في شرح موطأ مالك*. دار الغرب الإسلامي.
- (37) ابن مالك، محمد بن عبد الله. (د.ت) *شرح التسهيل*. تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون.
- (38) مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1972م) *المعجم الوسيط*. القاهرة.
- (39) المبرد، محمد بن يزيد. (1997م) *الكامل في اللغة والأدب*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي - القاهرة.

- (40) المرادي، الحسن بن قاسم. (2008م) *الجنى الداني في حروف المعاني*. تحقيق: فخر الدين قباوة. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (41) المرزباني، محمد بن عمران. (د.ت) *الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء*.
- (42) ابن منظور، محمد بن مكرم. (1994م) *لسان العرب*. دار صادر - بيروت.
- (43) النحاس، أحمد بن محمد. (1992م) *القطع والائتناف*. تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. دار عالم الكتب.
- (44) النهرواني، المعافى بن زكريا. (2005م) *الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي*. تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (45) ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. (1985م) *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر - دمشق.
- (46) الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. (2001م) *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن*. دار طوق النجاة.
- (47) ابن الوردي، عمر بن مظفر. (2008م) *شرح ألفية ابن مالك (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة)*. تحقيق: عبد الله بن علي الشلال. مكتبة الرشد - الرياض.
- (48) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (د.ت) *شرح المفصل*. تحقيق: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية - بيروت.
- (49) أبو فراس الحمداني. (1994م) *ديوان أبي فراس الحمداني*. تحقيق: خليل الدويهي. دار الكتاب العربي.